تقريب

المنحة الإلهية

في تهذيب

شرح الطحاوية

تقديم:

فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الإيمان باليوم الآخر، الموقف من الصحابة، الاعتصام بالسنة والجماعة

إعداد:

الطالبة/ رزكا أماليا إسكندر

الفصل الدراسي الأول العام الجامعي: ١٤٤٥ هـ

https: / /t.me /waalhiqnibisshalihin



تقريب

المنحة الإلهية

في تهذيب

شرح الطحاوية

تقديم:

فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الإيمان باليوم الآخر، الموقف من الصحابة، الاعتصام بالسنة والجماعة

إعداد:

الطالبة/ رزكا أماليا إسكندر

الفصل الدراسي الأول العام الجامعي: ١٤٤٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإيمان باليوم الآخر

الفصل الأول: الحديث عن الروح

حقيقة الروح

والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل أن النفس:

- جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس،
- وهو جسم نوراني علوي،
- خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء،
- ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم،

- فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف: بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار، من الحس والحركة الإرادية،
- وإذا فسدت هذه بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

والدليل على ذلك:

- ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] ففيها الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها.
- ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، **ففيها:** بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها.
- وقال ﷺ: «إن الروح إذا قبض تبعه البصر» **ففيه:** وصفه بالقبض، وأن البصر يراه.

هل الروح قديمة أم مخلوقة؟

[اختلفوا في ذلك]:

[١] الروح قديمة،

لأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق وبأن الله أضافها إليه،

- لقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]،

رد على هذا: فليس المراد هنا بالأمر الطلب، بل المراد به المأمور.

- وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويَدَه.

الرد على هذا: ينبغي أن يُعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان:

١) صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر: فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

٢) إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح: فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافةً تقتضي تخصيصـاً وتشريفـاً، يتميز بها المضاف عن غيره.

[٢] أنها محدثة مخلوقة، مصنوعة مربوبة مدبَّرة. (بإجماع الرسل واتفاق أهل السنة ونقل الإجماع على ذلك).

لأن العالم محدث.

﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦، الزمر: ٦٢]، فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفاتُ الله تعالى، فإنها داخلةٌ في مسمى اسمه. فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق، وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعـاً أن الروح ليست هي الله، ولا صفةً صفاته، وإنما

هي من مصنوعاته.

- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. والإنسان اسم لروحه وجسده.
- وقوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]. والخطاب لزكريا، لروحه وبدنه.

[٣] وتوقف آخرون.

- **والروح توصف:** بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث.

هل خلق الأرواح سابق لخلق الأجساد؟

اختلف في الروح هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟

- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة . . .» [رواه الترمذي].
- وفي ذلك أحاديث أُخر أيضـًا كلها دالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل النار وأهل الجنة.

ومن هنا قال من قال: إن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد، وهذه الآثار لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقـًا مستقراً ثابتـًا،

وغايتها أن تدل على: أن بارئها وفاطرها سبحانه صوّر النسمة وقدَّر خلقها وأجلها وعملها واستخرج تلك الصور من مادتها، ثم أعادها إليها، وقدَّر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له،

- **ولا يدل على:** أنها خُلِقَتْ خلقـًا مستقراً واستمرت موجودة ناطقة كلها في موضع واحد ثم يرسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة، كما قاله ابن حزم. فهذا لا تدل الآثار عليه؛

فالآثار المروية في ذلك إنما تدل على القدر السابق.

هل النفس هي الروح؟

وأما اختلاف الناس في مسمى النفس والروح هل هما متغايران، أو مسمّاهما واحد؟

فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارةً ويختلف تارةً.

- **النفس تطلق على:**

١) الروح، ولكن غالب ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت المجردة فتسمية الروح أغلب عليها.

٢) الدم، ففي الحديث: «ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه».

٣) العين، يقال أصابت فلاناً نفس، أي: عين.

٤) الذات، ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

- وأما الروح: فلا تطلق على البدن، لا بانفراده ولا مع النفس.

وتطلق الروح على:

١) القرآن، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]،

٢) جبريل، ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣].

٣) الهواء المتردد في بدن الإنسان.

٤) وأما ما يؤيد الله به أولياءه، فهي روح أخرى، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٥) القوى التي في البدن، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشامّ.

٦) **وأخص من هذا كله، وهو:** قوة المعرفة بالله والإنابة إليه ومحبته وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته.

- ونسبة هذه الروح إلى الروح: كنسبة الروح إلى البدن،
  - فللعلم روح، وللإحسان روح، وللمحبة روح، وللتوكل روح، وللصدق روح،
  - والناس متفاوتون في هذه الروح؛ فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح فيصير روحانيًا، ومنهم من يفقدها أو أكثرها فيصير أرضيًّا بهيميًا.

مراتب النفوس

- وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس: مطمئنة ولوامة، وأمَّارة، قالوا وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه،
  - كما قال تعالى: ﴿يَأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧].
  - ﴿وَلَا أُقسم بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾ [القيامة: ٢].
  - ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].
- **والتحقيق:** أنها نفس واحدة، لها صفات:

١) فهي أمارة بالسوء،

٢) فإذا عارضها الإيمان صارت لوّامة تفعل الذنب، ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك،

٣) فإذا قوي الإيمان صارت مطمئنة.

- ولهذا قال النبي ﷺ: «من سرته حسنته وساءته سيئتُه فهو مؤمن» مع قوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الحديث.

هل تموت الروح؟

واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟

[١] فقالت طائفة: تموت؛

- لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت،
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]
- ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

[٢] وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان.

- وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

[٣] **والصواب أن يقال:** موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها،

- فإن أريد بموتها هذا القدر: فهي ذائقة الموت،
- وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية: فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب.

- وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد.
- وأما قول أهل النار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]،

فالمراد: أنهم كانوا أمواتـًا وهم نُطَفٌ في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور،

- **وليس في ذلك**: إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث مَوْتَات.
- وصعقُ الأرواح عند النفخ في الصور: لا يلزم منه موتها،

فإن الناس يُصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت.

وكذلك صعق موسى لم يكن موتـًا،

والذي يدل عليه:

- أن نفخة الصعق -والله أعلم- موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق،
- وأما من ذاق الموت، أو لم يُكتب عليه الموتُ من الحور والولدان وغيرهم فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية. والله أعلم.



الفصل الثاني: عذاب القبر ونعيمه

قوله: (وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران).

شرح:

- قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].
- وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٧].

وهذا يحتمل:

١) أن يُراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا،

٢) وأن يُراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛

- لأن كثيراً منهم مات ولم يعذَّب في الدنيا،

٣) أو المراد أعم من ذلك.

- وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد، وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يُلحد له، فقال: «أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات» ... الحديث،
  - وفيه عن العبد المؤمن: «فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما عِلمُك؟ فيقول: قرأت

كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرِشُوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة» . . .

- وفيه عن العبد الكافر: «ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هَاهُ، هَاهُ، لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هَاهُ هَاهُ لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرِشُوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وَسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف أضلاعه» الحديث.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة فشقها نصفين وقال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا قبر أحدكم - أو الإنسانُ - أتاه مَلَكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر وللآخر: النكير» . . . الحديث.

عذاب القبر ونعيمه بلا كيفية معلومة:

- وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين،

فيجب: اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته،

- إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار،
- والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول ولكنه قد يأتي بما تَحارُ فيه العقول.

- فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا.

- **فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:**

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ،

- فإنها وإن فارقته وتجردت عنه: فإنها لم تفارقه فراقـًا كليـًا بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدنُ معه موتـًا ولا نومـًا ولا فساداً فالنوم أخو الموت.

- **فالحاصل أن الدُّور ثلاث**: دار الدنيا ودار البرزخ، ودار القرار.
- وقد جعل الله لكل دار أحكامـًا تخصها، وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس،
  - وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها،
  - وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها،
  - فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم: صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعـًا.
- **فإذا تأملت هذا المعنى حقّ التأمل، ظهر لك:**
  - أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار مطابق للعقل،
  - وأنه حق لا مِرية فيه،
  - وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم.
- **ويجب أن يُعلم:** أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها،

- وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى يكون أعظم حَراً من جمر الدنيا،
- ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها،
- بل أعجب من هذا: أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من حفر النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حرّ ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه.

- وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب،
  - وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه وغيَّبه عن غيره،
  - ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس،
    - كما في الصحيح عنه ﷺ: «لولا أن لا تَدافَنوا لَدَعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»،
    - ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم: سمعت ذلك وأدركته.

سؤال القبر للروح والجسد معا:

[الأقوال في هذه المسألة]:

١) ليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره،

٢) وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح،

- والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

٣) وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفسُ وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

- واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ،
  - فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه؛ قبر أو لم يُقبر؛
    - أكلته السباع، أو احترق حتى صار رماداً ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك،
- فيجب أن يُفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلوّ ولا تقصير،
  - **فلا يُحمل كلامه**: ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده، وما قصده من الهدى والبيان،
    - فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله.
    - بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد. والله المستعان.

هل سؤال القبر خاص بهذه الأمة؟:

وللناس في سؤال منكر ونكير هل هو خاص بهذه الأمة أم لا؟ ثلاثة أقوال:

الثالث: التوقف، وهو قول جماعة منهم أبو عمر بن عبد البر،

- عن زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها»، منهم من يرويه: «تُسأل»،
  - وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع به،
  - **ويظهر:** عدم الاختصاص، والله أعلم.

سؤال الأطفال:

وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضـًا.

(١) أي على قولين:

[١] إنهم يُسألون،

- واحتج بأنه يشرع الصلاة عليهم والدعاء لهم وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر.

[٢] عدم سؤالهم،

- لأن السؤال يكون لمن عقل الرسول والمرسل فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ أما الطفل الذي لا تمييز له كيف يقال له ما كنت تقول في هذا الرجل؟

هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟

وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ جوابه: أنه نوعان:

[١] منه ما هو دائم،

- كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

- حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة» رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

[٢] ومنه أنه مدة ثم ينقطع،

- وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه.

مستقر الأرواح بعد الموت:

- وقد اختلف في مستقرّ الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة، ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها.

- **ويتلخص من أدلتها:** أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت،
  - **فمنها:** أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وهم متفاوتون في منازلهم.
  - **ومنها:** أرواح في حواصل طيرِ خُضْر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء لا كلّهم،
    - بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه. كما في «المسند» عن محمد بن عبد الله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «الجنة» فلما ولى، قال: إلا الدين سارني به جبريل آنفًا»،
  - **ومن الأرواح**: من يكون محبوساً على باب الجنة، كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة»،
  - **ومنهم:** من يكون محبوساً في قبره،
  - **ومنهم:** من يكون محبوساً في الأرض،
  - **ومنها:** أرواح تكون في تَنُّور الزناة والزواني،
  - وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتُلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.
- **وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره،**
  - في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]،
  - وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]،

فهي: أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خُضر. كما في حديث عبد الله بن عباس، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم - يعني: يوم أحد - جعل الله أرواحهم

في أجواف طير خُضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مذللة في ظل العرش» الحديث.

- فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة،
  - ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها. ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير أو كطير، ونسمة الشهيد في جَوْف طير.
- وتأمل لفظ الحديثين؛ ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه»،
  - فقوله: «نسمة المؤمن» تعم الشهيد وغيره،
  - ثم خص الشهيد بأن قال: «هي في جوف طير خضر»،
    - ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار،
  - فنصيبهم من النعيم في البرزخ: أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فُرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجةً من كثير منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه والله أعلم.
- وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في «السنن».
- وأما الشهداء: فقد شُوهد منهم بعد مُدَد من دفنه كما هو لم يتغير،
  - فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره،
  - ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة والله أعلم.
  - وكأنه – والله أعلم – كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول.

(١) أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله قال: (لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: ما أراني إلا مقتولاً في أول من يقتل من أصحاب النبي، وإني أترك بعدي أعز عليَّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن علي دينـًا فاقض واستوص بأخواتك خيراً، فأصبحنا فكان أول قتيل، ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هنيَّة غير أذنه).



الفصل الثالث: ما ينتفع به الميت من عمل الأحياء

قوله: (وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات).

موطن الاتفاق في هذا الأمر:

- اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين:

أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج،

على نزاع فيما يصل إليه من ثواب الحج:

١) فعن محمد بن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة والحج للحاج.

٢) وعند عامة العلماء: ثواب الحج للمحجوج عنه، وهو الصحيح.

موطن الخلاف:

واختلف في العبادات البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر؛

١) فذهب أبو حنيفة وأحمد وجمهور السلف: إلى وصولها،

٢) والمشهور من مذهب الشافعي ومالك: عدم وصولها.

٣) وذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى: عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء ولا غيره.

وقولهم مردود بالكتاب والسنة، لكنهم استدلوا بالمتشابه:

- من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩].
- وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].
- وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به من بعده».

فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه الحياة فهو منقطع عنه.

الأدلة على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه:

- **الدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه:** الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

١ – الكتاب

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]. فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

٢ – السنة

وصول الدعاء:

- الأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة.
- وكذا الدعاء له بعد الدفن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»، [رواه أبو داود]
- وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، عن بريدة بن الحصيب، قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية». [رواه مسلم]

الصدقة:

- عن عائشة رضي الله عنها: «أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إن أمي افتلتت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم». [متفق عليه]

الصوم

- عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه». [متفق عليه]

الحج:

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «إن أمي نذرت أن تحجّ فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيتَه؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء». [رواه البخاري].

٣- الإجماع:

- وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء: إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة،
- وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يُسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته.

وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة، حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الآن بردت عليه جلدته».

٤- القياس:

- وكل ذلك جارٍ على قواعد الشرع، وهو محض القياس،

- فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يُمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله له في حياته وإبرائه له منه بعد وفاته.

- وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية.

- **يوضحه:** أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية؟!

الجواب على استدلالات النافين

١ – ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَانِ إِلَّا مَا سعى﴾ [النجم: ٣٩].

قد أجاب العلماء بأجوبة؛ أصحها جوابان:

أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير وتودَّد إلى الناس، فترحموا عليه، ودَعَوْا له، وأهدَوْا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه،

- **يوضحه:** أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يُوصِلُ إليه ذلك.

الثاني: وهو أقوى منه: أن القرآن لم ينفِ انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه،

- وبين الأمرين فرق لا يخفى.

- فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه.

- وقوله سبحانه: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٨-٣٩] آيتان محكمتان، تقتضيان عدل الرب تعالى؛

- **فالأولى:** تقتضي أنه لا يعاقب أحداً بجرم غيره،
- **والثانية:** تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله، ليقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه، ومشايخه، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب،
  - وهو سبحانه لم يقل: لا ينتفع إلا بما سعى.

٢ –قوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]

- على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي: عقوبة العبد بعمل غيره، فإنه تعالى قال: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

٣ ـ «إذا مات ابن آدم انقطع عمله»

- فاستدلال ساقط؛ فإنه لم يقل: انقطاع انتفاعه، وإنما أخبر عن: انقطاع عمله.
- وأما عمل غيره فهو لعامله،
  - فإن وهبه له وصل إليه ثواب عمل العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين.

٤ – وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية،

- فقد شرع النبي ﷺ الصوم عن الميت كما تقدم مع أن الصوم لا تجري فيه النيابة،
- وكذلك حديث جابر، قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى، فلما انصرف أتى بكبش فذبحه، فقال: «بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي». والقُربة في الأضحية إراقة الدم، وقد جعلها لغيره.

وكذلك عبادة الحج بدنية، وليس المال ركنًا فيه وإنما هو وسيلة،

- ألا ترى أن المكي يجب عليه الحج إذا قدر على المشي إلى عرفات، من غير شرط المال.
- وهذا هو الأظهر أعني: أن الحج غير مركب من مال وبدن، بل بدني محض،
- كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين: وانظر إلى فروض الكفايات كيف قام فيها البعض عن الباقين؟
- ولأن هذا إهداء ثواب، وليس من باب النيابة كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه، وله أن يعطي أجرته لمن شاء.

حرمة أخذ الأجرة على التلاوة:

- وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن ويهدونه للميت!! فهذا لم يفعله أحد من السلف ولا أمر به أحد من أئمة الدين ولا رخص فيه.
- والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف.
- وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير، والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادةً خالصة، فلا يكون ثوابه مما يُهدى إلى الموتى!!
  - ولهذا لم يقل أحد أنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثواب ذلك إلى الميت،
- لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك: كان هذا من جنس الصدقة عنه، فيجوز ذلك.

وصول ثواب القراءة بغير أجر

- وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوّعاً بغير أجرة: فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.
- فإن قيل: هذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا أرشدهم إليه النبي؟
  - **فالجواب:** إن كان مورد هذا السؤال معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء قيل له: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجةً في عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفي العام؟
- فإن قيل: فرسول الله أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة؟
  - قيل: هو لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم،
  - فهذا سأله عن الحج عن ميته فأذن له فيه، وهذا سأله عن الصوم عنه فأذن له فيه ولم يمنعهم مما سوى ذلك،
  - وأي فرق بين وصول ثواب الصوم - الذي هو مجرد نية وإمساك - وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟
- ومن قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله: فهذا لم يصح عن أحد الأئمة المشهورين.
  - ولا شك في سماعه، ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح؛ فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة فإنه عمل اختياري، وقد انقطع بموته.

قال المحقق: قوله: (ولا شك في سماعه) ليس على إطلاقه؛

- لأن الله سبحانه نفى سماع الموتى بقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].
- وقوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [النمل: ٨٠].
- وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث وإنما يستثنى من ذلك ما صحت به الأحاديث من سماع الميت

سؤال منكر ونكير، وسماع قرع نعال المشيعين، وسماع قتلى بدر كلام الرسول ﷺ ونحو ذلك مما صح به النص، وما سوى ذلك فالأصل عدم سماعهم للقرآن وغيره).



الفصل الرابع: أشراط الساعة

قوله: (ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها).

- عن حذيفة بن أسيد قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة فقال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات»

فذكر: «الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

ذكر الدجال ونزول عيسى:

- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الدجال، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر» **فسره في رواية:** أي كافر.
- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها»

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]. [أخرجه البخاري وغيره].

قال الشيخ الألباني: (واعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره...).

- وأحاديث الدجال، وعيسى ابن مريم، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم؛ ويضيق هذا المختصر عن بسطها.

خروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها:

وأما خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب:

- فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].
- وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].
- وروى البخاري عند تفسير الآية، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمَن مَنْ عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل».
- عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضُحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً». [أخرجه مسلم]
  - **أي:** أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة؛ لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة،
  - وأما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم

بالإيمان أو الكفر: فأمر خارج عن مجاري العادات. وذلك أول الآيات الأرضية كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية.



الفصل الخامس: البعث والجزاء

قوله: (ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان).

قوله: (والحوض – الذي أكرمه الله تعالى به غياثًا لأمته ـ حق).

- الإيمان بالمعاد: مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة.
- فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز وأقام الدليل عليه، وردّ على منكريه في غالب سور القرآن،
- وذلك: أن الأنبياء كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة، فإن الإقرار بالربّ عام في بني آدم وهو فطري، كلهم يقرّ بالرب، إلا عاند؛ كفرعون،
  - بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون،
- ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفّي بيَّن تفصيل الآخرة بيانـًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء.
- ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذه حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري.
  - وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم،
  - وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم فقال تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤-٢٥]
  - ولما قال إبليس اللعين: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٦-٣٨].

- وأما نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].
- وقال إبراهيم: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢] إلى آخر القصة.
- وأما موسى، فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ [طه: ١٥-١٦].

- وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].
  - وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم: أن الرسل أنذرتهم يومهم هذا.
  - فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة.

من حجج القرآن في إثبات المعاد:

- من هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] إلى آخر السورة.

فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها بألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضع الأدلة وصحة البرهان: لما قدر؛

- فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ ما وفَّى بالجواب. وأقام الحجة وأزال الشبهة، لولا ما أراد سبحانه من تأكيد الحجة.

- وزيادة تقريرها فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فاحتج بالإبداء على الإعادة وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى.
  - إذ كل عاقل يعلم ضروريًّا أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز،
- ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].
- ثم أكد الأمر بحجة قاهرة، وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعته حارة رطبةً بما يدل على أمر البعث ففيه الدليل والجواب معاً، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠].
- ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل، فهو على ما دونه بكثير أقدرُ وأقدرُ، فمن قدر على حمل قنطار فهو على حمل أوقية أشد اقتدراً؛ فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١].

كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

- ثم أكد سبحانه ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة والتعب والمشقة ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكوّنه نفسُ إرادته، وقوله للمكون: «كن»، فإذا هو كائن كما شاءه وأراده.
- ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده فيتصرف فيه بفعله وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

- وكم في القرآن من مثل هذا الاحتجاج،
  - كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥]، إلى أن قال: ﴿وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧].
  - وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، إلى أن قال: ﴿ثمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]،
  - وذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية، (وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية) وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

كيفية الإعادة:

- والقول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال،
  - فتستحيل ترابـاً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى؛ فإنه كان نطفةٌ ثم صار علقةً، ثم صار مضغة، ثم صار عظامـاً ولحمـاً، ثم أنشأه خلقـاً سويـاً.
- كذلك الإعادة يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عَجْبَ الذنَب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «كل ابن آدم يبلى إلا عَجْبَ الذنب منه خُلق ابن آدم، وفيه يُركب»
- فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه.
  - والمُعَاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها.
- وليست صفةُ تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال: إن الصفات هي المغيّرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلـونهـا عـلى صـورة آدم طوله ستون ذراعـًا، كما ثبت

في «الصحيحين» وغيرهما،

- وتلك نشأة باقيةٌ غيرُ معرّضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات.

جزاء الأعمال

- **وقوله: وجزاء الأعمال؛**

قال تعالى: ﴿مٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]. **والدين:** الجزاء، يقال: كما تدين تدان، أي: كما تُجازِي تُجازَى.

وقال ﷺ فيما يروي عن ربه، من حديث أبي ذر الغفاري: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه».

العرض والحساب

- **وقوله: والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب،**

قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦)﴾ [الحاقة: ١٥-١٦]، إلى آخر السورة.

و ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) ... وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) ... بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ٦-١٥].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

- عن عائشة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، فقال رسول الله ﷺ: إنما ذلك العرْضُ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذب». [رواه البخاري] **يعني:** أنه لو ناقش في حسابه لعبيده لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح.
- عن النبي ﷺ، أنه قال: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق فإذا موسى آخذ بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور؟».

الحوض

- الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، فمنها:
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء». [رواه البخاري]
- وعنه أيضـاً عن النبي ﷺ قال: «ليردنَّ عليَّ ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول أصيحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك». رواه مسلم.
- **والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض:** أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يُمدُّ من شراب الجنة من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضـاً من اللبن، وأبرد من الثلج وأحلى من العسل، وأطيب ريحـاً المسك، وهو في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء كل زاوية من زواياه مسيرة شهر.
- وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في حال من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب، ويثمر ألوان الجواهر،

❑ وقد ورد في أحاديث: «أن لكل نبي حوضـًا، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا». جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

الحوض قبل الميزان والصراط:

❑ والحوض في العرصات قبل الصراط؛ لأنه يختلج عنه، ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط.

⮱ عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فَرَطكم على الحوض» [رواه البخاري ومسلم]. **والفرط:** الذي يسبق إلى الماء.

❑ **قال القرطبي رحمه الله تعالى في التذكرة: واختلف في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر؟**

[١] فقيل: الميزان قبل.

[٢] وقيل: الحوض.

والصحيح: أن الحوض قبل .

قال القرطبي: والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عطاشـًا من قبورهم، كما تقدم فيقدم قبل الميزان والصراط. ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء.

❑ فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض، وأخلق بهم أن يُحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر.

الميزان

❑ **وقوله: والميزان**، أي: ونؤمن بالميزان.

⮱ قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ

مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

- قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها،
- قال: وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
  - يحتمل أن يكون ثَمَّ موازين متعددة توزن فيها الأعمال،
  - ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

وزن صحائف الأعمال:

- والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.

قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيُخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ له: قال: لا يا رب فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيُبهت الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنةً واحدةً لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فيقول: أحضروه فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة. قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقُلُ شيء بسم الله الرحمن الرحيم» [أخرجه الترمذي].

وزن العامل:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند

الله جناح بعوضة»، وقال: «اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، [رواه البخاري]

- عن ابن مسعود: «أنه كان يجتني سواكـًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: ممَّ تضحكون؟ قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحُد» [أخرجه أحمد].
- وفي هذا فائدة جليلة، وهي أن العامل يوزن مع عمله.

وزن الأعمال نفسها:

- عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان» [أخرجه مسلم].
- قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم [متفق عليه].
- فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجسامـًا،

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «يؤتى بالموت كبشـًا أغبر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون ويقال: يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج؛ فيُذبح، ويقال: خلود لا موت» [اخرجه أحمد]

- **فثبت:** وزن الأعمال والعامل، وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان.

الإيمان بالميزان من الإيمان بالغيب

- فعلينا الإيمان بالغيب كما أخبر الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان.

- ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع: لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوَّال!! وما أحرَاهُ بأن يكون من الذين لا يقيمُ الله لهم يوم القيامة وزناً.
- ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذرُ من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين.

الصراط

- **وهو:** جسر على جهنم إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط،
  - كما قالت عائشة: إن رسول الله ﷺ سُئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: «هم في الظلمة دون الجسر»،
- **وفي هذا الموضع:** يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.
  - عن مسروق، عن عبد الله قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة . . .»، إلى أن قال: «فيعطون نورهم على قدر أعمالهم»،
  - قال: «فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ... وإذا طفئ قام، قال فيمرُّ ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دَحْضٌ، مزلة، فيقال لهم : امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشدّ الرَّحل، ويَرْمُل رَمَلاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تُجَرُّ يد وتَعلَقُ يد، وتُجرُّ رجل، وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار ، قال : فيَخلُصون، فإذا خَلَصوا قالوا : الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك، لقد أعطانا الله ما لم يُعط

أحداً».

المراد بالورود

- واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] ما هو؟

والأظهر والأقوى: أنه المرور على الصراط،

- قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].
- أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة»، قالت حفصة فقلت يا رسول الله أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فقال: «ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢].

- أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه،
- فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨].
- ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك،
- وكذلك حال الواردين النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذَرُ الظالمين فيها جثياً.
- فقد بين ﷺ في حديث جابر: أن الورود هو المرور على الصراط.

القنطرة [الصراط الثاني]:

- في «الصحيحين»: «أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا أذن لهم في دخول الجنة».

- وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطًا ثانيًا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحدٌ في النار، والله تعالى أعلم.



الفصل السادس: وجود الجنة والنار وأبديتهما

وقوله: (والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً، ولا تبيدان، فإن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً).

- ش: أما قوله إن الجنة والنار مخلوقتان؛ اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!!
  - وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، ... فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة ... فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

أدلة وجودهما الآن:

من الأدلة على وجودهما الآن:

- قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].
- وعن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].
- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣-١٥]. وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى.
- كما في الصحيحين من حديث أنس له، في قصة الإسراء، وفي آخره: «ثم انطلق بي جبريل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي – قال: – ثم دخلت الجنة فإذا هي

جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك».

- وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»
- وفي الموطأ والسنن، من حديث كعب بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»،
  - وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة. ونظائر ذلك في السنة كثيرة.
- وأما على قول من قال: إن الجنة الموعود بها هي الجنة التي كان فيها آدم ثم أخرج منها، فالقول بوجودها الآن ظاهر، والخلاف في ذلك معروف.

شبهة وردها:

١ - من قال: إنها لم تخلق بعد وهي أنها لو كانت مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفنى يوم القيامة وأن يهلك كل من فيها ويموت،

- لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]،
- عن جابر عن النبي ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» قالوا: فلو كانت مخلوقةً مفروغـًا منها لم يكن لهذا الغراس معنى.
- قوله تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

فالجواب:

- إنكم إن أردتم بقولكم أنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور، وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده تقدم من الأدلة وأمثالها لم يذكر،

- وإن أردتم أنها لم يكمل خلق ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يُحدث فيها شيئًا بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخر: فهذا حق لا يمكن ردّه، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.
- وأما احتجاجكم بقول تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، فأتيتم من سوء فهمكم فلم توفقوا لفهم معنى الآية، **وإنما المراد:** كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش فإنه سقف الجنة.

بطلان القول بفناء الجنة والنار:

- **وقوله:** **لا تفنيان أبداً ولا تبيدان؛** هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.
- وقال ببقاء الجنة وبفناء النار جماعة من السلف والخلف.
- وقال بفناء الجنة والنار: الجهم بن صفوان إمام المعطلة وليس له سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة. وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفَّروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض.

الأدلة على أبدية الجنة:

- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي غير مقطوع، ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.
- **واختلف السلف في هذا الاستثناء؛**

١) فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم.

٢) وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف.

٣) وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.

٤) وقيل: هو استثناء الرب ولا يفعله،

٥) وقيل غير ذلك، وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه،

- وقوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ محكم. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].
- وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]
  - وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تبين لك المراد من الآيتين،
  - واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.
- ومن السنة كقوله ﷺ: «ينادي مناد يا أهل الجنة إن لكم أن تَصِحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبّوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً»،
- وذكر ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «يا أهل الجنة خلود فلا موت؛ يا أهل النار، خلود فلا موت».

القول في أبدية النار:

وأما أبدية النار ودوامها فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، (الخوارج والمعتزلة).

والثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم (إمام الاتحادية ابن عربي الطائي).

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، (حكاه اليهود للنبي ﷺ وأكذبهم فيه)، [حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ سأل اليهود: «من أهل النار؟ قالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال النبي ﷺ: اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبداً»].

- وقد أكذبهم الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨١]

الرابع: يخرجون منها وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

الخامس: أنها تفنى بنفسها؛ لأنها حادثة وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه!! (الجهم وشيعته)، ولا فرق عنده في الجنة والنار.

السادس: تفنى حركات أهلها ويصيرون جماداً، لا يحسّون بألم (أبو الهذيل العلاف).

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء كما ورد في السنة، ثم يبقيها ما يشاء، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ويبقى فيها الكفار، بقاءً لا انقضاء له،

- وما عدا هذين القولين الأخيرين ظاهر البطلان.
- وهذان القولان لأهل السنة ينظر في أدلتهما.

أدلة القائلين بفناء النار:

فمن أدلة القول الأول منهما:

قوله تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

- وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧].
  - ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وقوله تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣].
- وهذا القول (القول بفناء النار دون الجنة) منقول عن عمر، وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم،
  - قالوا: والنار موجب غضبه والجنة موجب رحمته. وقد قال ﷺ: لما قضى الله الخلق، كتب كتابـًا، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي.
  - حديث أبي هريرة قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]. ﴿أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]. و ﴿عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥].
  - ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم.
  - وقد قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].
  - وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته.
  - وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة.
- قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام: كله حق مسلم لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية،
  - وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد. ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

- **الصحيح:** أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبداً ولا تبيدان كما ذكره الطحاوي ﷺ.
- **أما الإمام ابن القيم فقد تردد في المسألة، أنه تردد بين ثلاث مواقف:**

أما الموقف الأول: فهو ميله في حادي الأرواح إلى القول بفنائها، لكنه لا يصرح بذلك تصريحًا جازمًا،

وأما الموقف الثاني: فهو التوقف في المسألة كما يظهر في قوله (فإن قيل: فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن: التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

وأما الموقف الثالث: فهو القول ببقائها كما في الوابل الصيب حيث يقول: (ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض).

من أدلة القائلين بعدم فناء النار:

- قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]،
- ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]،
- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أبدا﴾ [النساء: ١٦٩) والأحزاب: ٦٥]،
- ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].
- ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].
- ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٢٣٦].

- ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، أي: مقيمًا لازمًا.
- وقد دلت السنة المستفيضة: أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله،
- وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما.

الله خلق لكل من الجنة والنار أهلا

وقوله: وخلق لهما أهلاً؛

- قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].
- وعن عائشة ﵂، قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال: «أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم».



الموقف من الصحابة

الفصل الثاني: الموقف من الصحابة

حب الصحابة دين وإيمان

وقوله: (ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان).

- يشير الشيخ الله إلى الرد على الروافض والنواصب.

أهل السنّة في باب الصحابة وسط بين الروافض والنواصب. فأما الرافضة: فإنهم يسبون الصحابة ويلعنونهم إلا قليلاً منهم ويغلون في حب علي له، وأهل بيته. وأما النواصب: فهم الذين ينصبون العداوة لأهل البيت ويكفّرونهم ويطعنون فيهم.

- وقد أثنى الله تعالى على الصحابة هو ورسوله ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى:
  - ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].
  - وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) ... ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠)﴾ [الحشر: ٨-١٠]
  - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق

مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدّ أحدهم ولا نصيفه»،

- «لا تسبوا أصحابي»، يعني عبد الرحمن وأمثاله؛ لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، ومنهم الوليد وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة وسموا الطلقاء.
- **والمقصود:** أنه نهى من له صحبة آخراً أن له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يَشرِكوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه.
- فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحال الصحابة؟

تعريف السابقين الأولين:

والسابقون الأولون - من المهاجرين والأنصار -:

- هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.
- وقيل: إن السابقين الأولين من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف.

فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة؛ لأن النسخ ليس من فعلهم، ولم يدل على التفضيل به دليل شرعي كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة التي كانت تحت الشجرة.

الصحابة خير القرون

- وفي «الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة؟
- ولقد صدق عبد الله بن مسعود ﷺ في وصفهم، حيث قال: «إن الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأه المسلمون حسناً فهو عند الله، حسن وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيئ»
- فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فَضَلَتْهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، قيل للرافضة: من شَرُّ أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل.

لا غلو ولا براءة من أحد منهم

- وقوله: **ولا نفرط في حب أحد منهم**، **أي:** لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين. قال تعالى: ﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].
- وقوله: **ولا نتبرأ من أحد منهم**، كما فعلت الرافضة! فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر!!
- وأهل السنة يوالونهم كلهم وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

← وهذا معنى قول من قال من السلف: الشهادة بدعة والبراءة بدعة، **ومعنى الشهادة:** أن يشهد على معيَّن من المسلمين أنه أهل النار، أو أنه كافر بدون العلم بما ختم من الله له به.

- وقوله: «**وحبهم دين وإيمان وإحسان**» لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص.
- وقوله: «**وبغضهم كفر ونفاق وطغيان**» تقدم الكلام في تكفير أهل البدع،
  - وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

إثبات خلافة أبي بكر

قوله: (ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق، تفضيلاً له وتقديمًا على جميع الأمة)

- **اختلف أهل السنة في خلافة الصديق: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟**

[١] فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال: بالنص الجلي.

[٢] وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

أدلة القائلين بالنص:

- عن جبير بن مطعم قال: «أتت امرأة النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئتُ فلم أجدك؟ كأنها تريد الموت قال: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر»».
- وحديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»
- وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة فصلى بهم مدة مرض النبي.

- عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذَنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم استحالت غَرْباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أرَ عبقريّاً من الناس يفري فَرِيَّه، حتى ضرب الناسُ بعطن» [متفق عليه]

أدلة القائلين بالاختيار:

- واحتج من قال: لم يستخلف، بالخبر المأثور،
  - عن عبد الله بن عمر، عن عمر، أنه قال: «إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني - يعني: أبا بكر، وإن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني - يعني: رسول الله ﷺ».
  - وبما ثبت عن عائشة لنا أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف. [وفيه أنها قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح ...]

المقصود من عدم الاستخلاف:

- **والظاهر** -والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر،
  - بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر»، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد،
  - فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك.

عدم المنازعة في خلافة أبي بكر:

- ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعاً في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي ﷺ بطلانه.
- ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر إلا سعد بن عبادة،
  - لكونه هو الذي كان يطلب الولاية.
- **ولم يقل أحد من الصحابة قط:** إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا عليّ، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع!
- **وفي الجملة** فجميع من نُقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة دينية شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحق بها،
  - وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه، وحب رسول الله ﷺ له. عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة» قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «عمر»، وعد رجالاً [متفق عليه].
- وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - فذكرت الحديث - إلى أن قالت: واجتمع الأنصار إلى سعد بن عبادة، في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير! فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردتُ بذلك إلا أني هيأت في نفسي كلاماً قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه

الناس فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال عمر: قتله الله. **والسنح:** العالية، وهي حديقة من حدائق المدينة معروفة بها.

خلافة عمر

قوله: (ثم لعمر بن الخطاب).

- **أي:** وتثبت الخلافة بعد أبي بكر لعمر ﵄.
  - وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه،
  - واتفاق الأمة بعده عليه.

وفضائله ﵁ أشهر من أن تنكر وأكثر من أن تذكر.

- عن محمد بن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني، أوَ ما تعرف؟ فقلت: لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم مَنْ؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان! فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.
- عن ابن عباس ﵄، قال: وُضع عمرُ على سريره فتكنَّفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه، قبل أن يُرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو عليّ، فترحم على عمر، وقال: ما خلَّفت أحداً أحبّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله، إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما [أخرجه مسلم].
- عن سعد بن أبي وقاص، قال: «استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قريش، يكلمنه، عالية أصواتهن ... الحديث، وفيه فقال النبي ﷺ: إيهاً يا ابن الخطاب والذي

نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك» [متفق عليه]

- عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم» [متفق عليه]. قال ابن وهب: **تفسير «محدثون»:** ملهمون.



الاعتصام بالسنة والجماعة

الفصل الأول: الاعتصام بالسنة والجماعة

قوله: (ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة).

- **السنة:** طريقة الرسول،
- **والجماعة:** جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال.

قال الله تعالى:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وثبت في السنن:

عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغةً، ذَرَفت منها العيون، ووجلتْ منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مُوَدِّع؟ فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة» [أخرجه أبو داود والترمذي]

وقال ﷺ: «إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدةً، وهي الجماعة»، فبين له أن

عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا أهل السنة والجماعة. وأن الاختلاف واقع لا محالة.

- وما أحسن قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

خبر الواحد وحجيته

قوله: (وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق).

- يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والرافضة القائلين بأن الأخبار قسمان متواتر وآحاد،
  - **فالمتواتر** – وإن كان قطعي السند – لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات.
  - قالوا: **والآحاد** لا تفيد العلم، ولا يُحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها!
    - فسدّوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية!! **وهي في التحقيق:** ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩].

طريق أهل السنة:

- **وطريق أهل السنة:** أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوه بمعقول، ولا قول فلان كما أشار إليه الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
  - وكما قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال: قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟! فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة تراني في بيعة! ترى على وسطي زناراً؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟! ونظائر ذلك في كلام السلف كثير.
  - وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].
- **وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملاً به وتصديقاً له:** يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذاك نزاع،
  - كخبر عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنما الأعمال بالنيات»،
  - وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة فاستداروا إليها.
  - وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون لا نقبله لأنه خبر واحد وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]. فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه لئلا تبطل حججه وبيناته.

الجماعة حق والفرقة زيغ

قوله: ونرى الجماعة حقًا وصوابًا، والفرقة زيغًا وعذابًا).

- قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].
- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]. فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.
- وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ﴾، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾، قال: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: «هاتان أهون»،
  - فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض مع براءة الرسول ﷺ من هذه الحال، وهم فيها في جاهلية.
  - ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن: فهو هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية.

أدب الخلاف في الإسلام

- مسائل النزاع التي تنازع فيها الأئمة في الأصول والفروع - إذا لم ترد إلى الله والرسول - لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله أقرَّ بعضهم بعضًا، ولم يبغ بعضهم على بعض،
  - كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد: فيقر بعضهم بعضًا، ولا يعتدي ولا يُعتدى عليه،
- **وإن لم يرحموا**: وقع بينهم الاختلاف المذموم؛ فبغى بعضهم على بعض،
  - إما بالقول، مثل تكفيره وتفسيقه،
  - وإما بالفعل مثل حبسه وضربه وقتله.

- والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

- **فالناس إذا خفي عليهم ما بعث الله به الرسول**: إما عادلون وإما ظالمون،
  - فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره،
  - والظالم: الذي يعتدي على غيره.
- وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون،

كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

- وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقرّ بعضهم بعضـًا، كالمقلدين لأئمة العلم الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نوابـًا عن الرسول، **وقالوا:** هذا غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعي أن قول مقلده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه. مع أنه معذور.

نوعا الاختلاف:

- **ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان**: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد.
- **واختلاف التنوع على وجوه:**
  - منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقـًا مشروعـًا،

كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم النبي ﷺ، وقال: «كلاكما محسن»،

ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو،

ونحو ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

- ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان،
  - كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصوغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك.
  - ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك.

- **واختلاف التنوع:** الذم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه.
- وقد دلَّ القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغي،
  - كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].
    - وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم، وترك آخرون.
  - وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨-٧٩]،
    - فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم.
  - وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

- **وأما اختلاف التضاد:** فهو القولان المتنافيان؛ إما في الأصول، وإما في الفروع، عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد. والخطب في هذا أشد؛ لأن القولين يتنافيان،
- لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقـاً ما، فيرد الحق مع الباطل، حتى يبقى هذا مبطلاً في البعض، كما كان الأول مبطلاً

في الأصل، وهذا يجري كثيراً لأهل السنة.

- **وأما أهل البدعة:** فالأمر فيهم ظاهر. ومن جعل الله له هداية ونوراً رأى من هذا ما يبين له منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه.
- **والاختلاف الثاني [اختلاف التضاد]،** هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وذُمَّت الأخرى،
  - كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٣].
  - وقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ [الحج: ١٩].
- وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك.

الاختلاف في الكتاب على نوعين:

- ثم الاختلاف في الكتاب من الذين يُقِرُّون به على نوعين:

أحدهما: اختلاف في تنزيله، **والثاني:** اختلاف في تأويله،

وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض:

- **فالأول:** كاختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله،
  - فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرته ومشيئته لكنه مخلوق في غيره لم يقم به،
  - وطائفة قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته.

وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل؛ فآمنت ببعض الحق، وكذبت بما تقوله الأخرى من الحق، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

- **وأما الاختلاف في تأويله**، الذي يتضمن الإيمان ببعضه دون بعض، فكثير،

كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فقئ في وجهه حُبُّ الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكلتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فانتهوا».

- **وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله**: مؤمنون ببعضه دون بعض، يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه:
  - إما أن يتأولوه تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه،
  - وإما أن يقولوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدون ما أنزله الله من معانيه وهو في معنى الكفر بذلك؛ لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] **أي**: إلا تلاوة من غير فهم معناه.
- وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن فعمل به، واشتبه عليه بعضه فوكل علمه إلى الله،

كما أمره النبي ﷺ بقوله: «فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه».



والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين